الدروس المستفادة من

الحج

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

قام بها فريق التفريغ في
شبكة بينونة للعلوم الشرعية

©|www.baynoona.net

@baynoonanet

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغا لمحاضرة

بعنوان

{دروس مستفادة من الحج}

للشيخ

يوسف بن حسن الحمادي

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

ثم أما بعد

لا يخفى عليكم أيها الإخوة أن الله جل وعلا خلقنا لغاية عظيمة، ألا وهي عبادته سبحانه وتعالى، وتحقيق الطاعة له ظاهرا وباطنا، قال جل وعلا {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦] أي إلا ليوحدوني ويفردوني بالطاعة والعبادة، وهذا هو أعظم الحقوق: حق الله جل وعلا على العباد، قال صلى الله عليه وسلم: « حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا »[1].

وهذ الحق أيها الإخوة إنما يتم بما أمر الله جل وعلا به بالقيام بالأوامر واجتناب النواهي، والحرص على ما دلت عليه الشريعة.

ومن هذه الأعمال العظيمة: الحج والدروس المستفادة منه، هذه الدروس أيها الإخوة ليست مقتصره على حجاج بيت الله الحرام، لا، بل إن الأحكام الشرعية

---

(١) أخرجه مسلم حديث:٦٩

والفرائض والواجبات التي أمر الله جل وعلا بها العباد الدروس المستفادة منها، والثمرات الحاصلة للعبد من القيام بها لا تختص بفرد دون فرد، إنما هي عامة لكل مكلف.

حتى لا أطيل عليكم أيها الإخوة أقف وإياكم وقفات سريعة على بعض هذه الدروس التي تضمنتها حجة النبي صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه هو وأصحابه رضوان الله عليهم وأرضاهم

إذا تأملنا أيها الإخوة حجة النبي صلى الله عليه وسلم كما وصفها جابر بن عبد الله رضي الله عنه من حين خروجه من المدينة وحتى عودته إليها نجد أنها قد اشتملت على أحكام ومسائل ودروس ما يعجب له المرء، ويحار في هذه الأمور التي اشتملت عليها هذه الحجة العظيمة، حجة الوداع، حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

أول هذه الدروس: العناية بالسنة النبوية وتحقيق المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، وإذا نظرنا عند إعلام النبي صلى الله عليه وسلم فقط أنه سيحج لرأينا أيها الإخوة أعدادا هائلة من المسلمين قد استعدت وتهيأت للحج مع النبي صلى الله عليه وسلم، لماذا؟ قال جابر: كلهم يلتمس أن يفعل كما يفعل النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا يعني أيها الإخوة أن هذا أصل عظيم من أصول الدين قرره النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس الصحابة رضي الله عنهم قبل الحج وأثناء الحج وبعد الحج، لهذا قال

صلى الله عليه وسلم: «خذُوا عنِّي مناسِككُم»[١] هذا نستفيد منه فائدة عظيمة وعلى أن مصدر تلقي العبادات إنما هي من النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يجوز لمسلم أن يخرج عن التقرب إلى الله عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

بل إنه إن تقرب إلى الله بغير ما شرع فإن عبادته مردودة عليه، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »[٢] فكل عمل خلا من الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو مردود على صاحبه،

فطاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها الهداية {وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [النور:٥٤]، ويترتب عليها الرحمة {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور:٥٦]، وتثمر محبة الله جل وعلا ومغفرة الذنوب {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران:٣١]، تثمر العزة والرفعة في الدنيا والآخرة {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر:١٠] أي فليطلبها بطاعة الله والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وننتبه أيها الإخوة إلى أن تحقيق المتابعة في العبادة لا بد له من أمور ستة فاحفظوها:

أولا: أن تكون العبادة موافقة للسنة في سببها، أي في مشروعيتها، وفي جنسها، وفي عددها، وفي كيفيتها، وفي زمانها، وفي مكانها، نأخذ مثالا على هذا، نطبق المثال على هذه

---

(١) أخرجه مسلم حديث:٢٣٦١

(٢) أخرجه مسلم حديث:٣٣٢٩

القاعدة: الشهر العربي القادم الهجري هو شهر الله المحرم، هناك عبادة عظيمة في هذا الشهر وهي الصيام، قال صلى الله عليه وسلم « أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ »[1] من الأيام المندوب إلى استحبابها عاشوراء، نطبق الآن صيام عاشوراء على هذه الأمور الستة التي ذكرناها.

قلنا لا بد أن تكون العبادة موافقة للسنة في سببها، فما هو سبب مشروعية صيام عاشوراء؟ عندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ورأى اليهود يصومون عاشوراء سألهم، فقالوا: هذا يوم نجى الله فيه موسى، فنحن نصومه شكرا لله، فقال عليه الصلاة والسلام: نحن أحق بموسى منكم إذا سبب صيام عاشوراء أن هذا يوم نجى الله فيه موسى، هذا السبب.

الجنس: من أي العبادات؟ الصيام ، العدد: عاشوراء كم يوم؟ يوم واحد، إذًا تتحقق موافقة السنة بصيام هذا اليوم فقط، ويثاب الإنسان على الأجر الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم.

الكيفية؟ الصيام المعروف، الإمساك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله تبارك وتعالى، هذه الكيفية.

الزمان؟ عاشوراء، وبالتحديد في اليوم العاشر منه.

المكان؟ لم يأتي، في أي مكان كان الإنسان يشرع له صيام هذا اليوم.

---

(١) أخرجه مسلم حديث:٢٠٥٦

إذًا لا بد أن ننتبه إلى هذه الضوابط الست؛ لأن بها يتبين للإنسان ويعرف ما هو المشروع من غير المشروع، فهذا أصل عظيم من أصول الدين ألا وهو تحقيق المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، وبهذا يكون المرء ناصحا للنبي عليه الصلاة والسلام، ومحققا لشهادة أن محمدا رسول الله، فإن معناها طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع صلى الله عليه وسلم.

ولهذا واجب علينا تعظيم السنة والتثبت فيما ينقل عن نبينا صلى الله عليه وسلم، والتعلم لأحاديثه عليه الصلاة والسلام والتدبر فيها، ثم العمل بها، ثم عدم معارضتها والتسليم لها {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء:٦٥] هذا هو الدرس الأول، وهو درس عظيم، لكن القصد منه هو بيان المعالم العامة في هذا الدرس.

درسٌ آخر من هذه الفريضة حجة النبي صلى الله عليه وسلم: سماحة الشريعة ويسرها ومراعاتها لحال المكلف، وتكليفه ما يطيق، ورفع كل إصر ومشقة عنه، وهذا ظاهر، لو سألنا سؤالا الآن: الحج كم مرة فرض في العمر؟ مرة واحدة، قال عليه الصلاة والسلام: « الْحَجُّ مَرَّةٌ فَمَا زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ »[1] أليس هذا يسر؟ في العمر مرة لكن على من؟ على المستطيع {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران:٩٧] أليس هذا يسرٌ.

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه حديث:١٧٨٦

إذا نظرنا في الأحكام وما دل عليه النبي عليه الصلاة والسلام وأرشد إليه، أرشد الأمة إلى أفضل المناسك وهي التمتع، يعتمر الإنسان ثم يتحلل من عمرته ثم يأتي بحج، هذا غاية في الرفق والإحسان إلى الناس، عند أداء المناسك لم يوجب صلى الله عليه وسلم على أمته أن يأتوا بما أمر على وجه الترتيب خصوصا في يوم النحر، إنما ترك الأمر على حسب قدرة العباد واستطاعتهم.

فما سُئل صلى الله عليه وسلم في يوم النحر أي شيء قُدم ولا أُخر من أعمال هذا اليوم إلا قال: افعل ولا حرج، جاء فيه أنه سُئل عن تقديم النحر على الرمي قال: افعل ولا حرج، عن تقديم السعي على الطواف قال: افعل ولا حرج، كل هذا مراعاة للناس، وهذه سمة لا توجد في أي دين من الأديان.

قال الله جل وعلا {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج:٧٨] وقال جل وعلا: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ} [البقرة:١٨٥] وقال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ »[١]، وسئل صلى الله عليه وسلم كما عند الإمام أحمد في المسند من حديث ابن عباس رضي الله عنه «سئل أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ »[٢] أي الإسلام، الحنيفية في باب العقيدة وتوحيد الله عز وجل، والسمحة أي في أحكامها، فهي شريعة يسيرة سمحة، ليس بها أي مشقة أو أي تعب، وهكذا أيها الإخوة سائر العبادات.

---

(١) أخرجه البخاري حديث:٣٩

(٢) حسن : أخرجه أحمد في المسند حديث:٢٠٥٢ صحيح الجامع (١٦٠)

الصيام إذا تأملنا ما فيه من رفق وإحسان ومراعاة للناس، الصلاة قال صلى الله عليه وسلم « صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ »[1]، كل هذا مراعاة للمكلف، والعلم أن هذا الدين يتمشى مع أحوال الناس ويراعي ظروفهم، هذا الدرس أيها الإخوة من الدروس العظيمة.

لكن هنا ننتبه إلى مفهوم اليسر والسماحة، لا يعني هذا أن الإنسان يتفلت من دينه، وأنه يتتبع الرخص، لا، اليسر الحقيقي إنما يكون في موافقة الشرع وإتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه عليه الصلاة والسلام إنما جاء بهذا الدين من عند الله، وهذا الدين وصفه الله عز وجل باليسر، وبينه لنا النبي صلى الله عليه وسلم غاية البيان.

فلا يوصف الإنسان المتمسك بالسنة أو العامل بها أو الداعي إليها بأنه متشدد، لا، اليسر الحقيقي إنما هو في العمل بسنة النبي عليه الصلاة والسلام وإلا يلزم هذا القائل أن يرمي النبي عليه الصلاة والسلام ويصفه والعياذ بالله بما لا يجوز، فهذا نسأل الله السلامة والعافية، فيه طعن في الشريعة.

نأخذ أيها الإخوة درسا ثالثا: وهو وجوب العناية بحق الله تبارك وتعالى الأكبر وهو توحيده جل وعلا، والإعلان عن إخلاص الطاعة والعبادة له جل وعلا، وإذا تأملنا الحج أيها الإخوة نجد أن فيه عبادات عظيمة لا تتوفر إلا في الحج، خذوا مثلا الطواف، قال الله جل وعلا: {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج:٢٩] ليس هناك بقعة

---

(١) أخرجه البخاري حديث:١٠٧٩

على وجه الأرض يشرع أو يجب أو يستحب الطواف بها إلا الكعبة، وما سوى ذلك فإنه خارج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

طاف النبي عليه الصلاة والسلام وطاف أصحابه ورغّب صلى الله عليه وسلم في القيام بهذه العبادة، لهذا أوصى صلى الله عليه وسلم ورغب في الإكثار من هذه العبادة.

مثال آخر: الحلق أو التقصير على وجه التقرب إلى الله عز وجل لا يشرع إلا في نسك الحج أو نسك العمرة، وأهل العلم يقررون أن حلق الشعر أو تقصيره على أربعة أنواع:

النوع الأول: أن يحلق الشعر أو يقصر على وجه التقرب إلى الله جل وعلا بمعنى وردت النصوص بذلك وهذا لا يكون إلا في نسك الحج أو العمرة.

النوع الثاني: أن يحلق الشعر بقصد التداوي، وهذا أيضا مشروع بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

النوع الثالث: أن يتقرب الإنسان بتقصير شعره أو حلق شعره من غير سبب شرعي، هذا بأي شيء نحكم عليه؟ نحكم بالبدعة، مثلا نبه العلماء قديما إلى أن بعض الناس إذا تابوا إلى الله عز وجل أمرهم بعض العلماء بحلق شعورهم، وهذا ليس عليه دليل، كم من الصحابة تابوا وكم من المشركين أسلموا وما أمرهم النبي عليه الصلاة والسلام بحلق شعورهم.

أو كما يفعل بعض الناس في بعض الفرق التي خرجت عن هدي النبي عليه الصلاة والسلام، فيحلقون شعورهم تقربا إلى شيوخهم كما يقولون، كل هذا خارج

عن هدي النبي عليه الصلاة والسلام.

النوع الرابع: أن يحلقه الإنسان بقصد التزين، أو يقصره بقصد التجمل، فهذا مباح ولا شيء فيه.

إذا أيها الإخوة هذه الطاعة لا تتوفى إلا بهذا الشكل، لهذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة، إذًا هذه عبادة.

خذوا مثال ثالث: الدعاء، كم كان النبي صلى الله عليه وسلم معتنيا في حجه بهذه العبادة؟ إذا أخذنا الطواف، أمر فيه بالدعاء وجاء بالدعاء، وعلى الصفا، وعلى المروة وعلى عرفة، كم دعا صلى الله عليه وسلم في عرفة، بعد صلاة الفجر في مزدلفة قد كان صلى الله عليه وسلم يطيل في هذه المواضع.

****

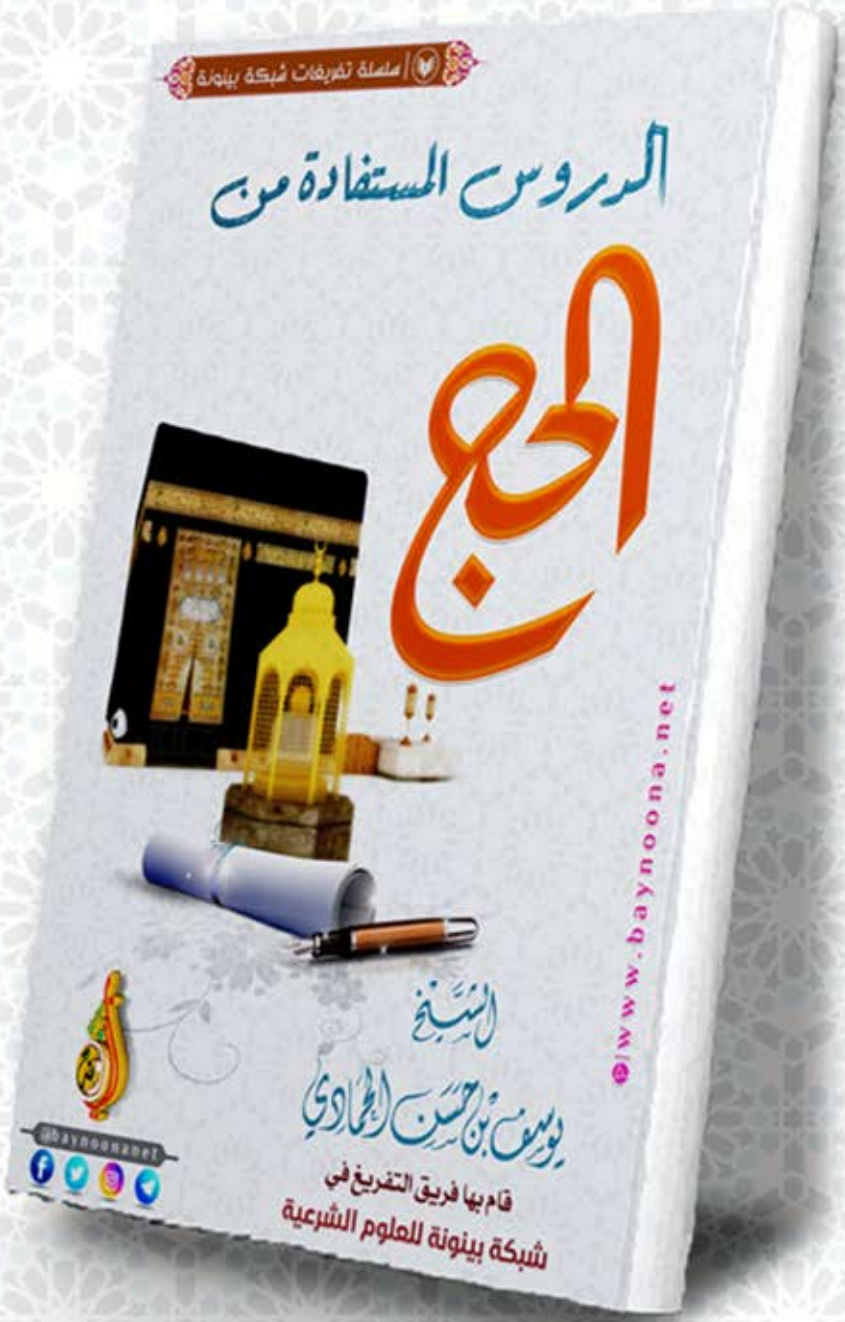

شبكة بينونة للعلوم الشرعية
نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة
الإمارات العربية المتحدة